الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

محاضرات موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس ـ الدراسات اللغوية بنظام (ل.م.د.)

مقياس منهجية البحث اللغوي

إعداد الأستاذة: دلولة قادري

المحاضرة الثامنة
المنهج المقارن (الإجراء)

المحاضرة الثامنة
المنهج المقارن (الإجراء)

علمنا من المحاضرة السابقة أن المنهج التاريخي بدأ توظيفه عند علماء الغرب بدءا من أواخر القرن الثامن عشر للميلاد، على إثر اكتشاف اللغة السنسكريتية (Sanskrit)، حيث رأى فيها العلماء حينئيذ أنها المرجع الصحيح للعالم الذي يبحث في اللغات الهندوأوروبية، فبدأوا يدرسون تلك اللغات دراسة تاريخية، وهو الأمر الذي أدى بهم بعد ذلك أن يلجأوا إلى مقارنتها باللغات الأوروبية اللاتينية والإغريقية والجرمانية ، ولاحظوا أوجه التشابه بينها ، فحاولوا أن يحددوا اللغة الأم، بتحديد أوجه الاتفاق بين العناصر اللغوية لتلك اللغات، أي أنهم أصبحوا، بفضل تلك الدراسات التاريخية، على يقين شبه تام بأن تلك اللغات تفرعت عن أصل واحد ثم احتفظت جميعها ببعض سمات اللغة الأم، ومن ثم اتجهت أنظار العلماء نحو منهج آخر يستطيعون بفضله تحديد الأسر اللغوية لجميع لغات العالم، وهو المنهج المقارن (Methode comparative).

وبذلك نرى أن المنهج المقارن هو في الحقيقة امتداد للمنهج التاريخي، وإن كانا قد ظهرا في وقت متقارب جدا، وقد حدد الباحثون في اللغة العناصر التي يتميز بها المنهج المقارن عن التاريخي، والتي يمكن تلخيصها فيما يأتي :

- يركز على بحث الظاهرة اللغوية في أكثر من لغة.

- يركز بشكل خاص على بحث الظاهرة في اللغات التي تنتمي إلى أصل واحد ، كاللغات السامية أو الحامية أو الهندية الأوروبية.

- هدفه التأصيل التاريخي، كأن يستدل على قدم الظاهرة بالتماسها في أخواتها، أو حداثتها بتفرد اللفظة المعنية بها من بين أخواتهما بحسب تاريخ حياة تلك اللغة.

إن من أعظم ثمرات توظيف هذا المنهج في البحث اللغوي هو تلك التصنيفات التي قسمت اللغات إلى فصائل، فلقد فطن كثير من العلماء إلى صلات القرابة التي تربط اللغات الهندية والآرية والأوروبية بعضها ببعض، وإلى الصفات التي يشترك فيها أفراد الفصيلة الحامية السامية، واستمر البحث اللغوي طويلا من أجل تحديد أهم الفصائل اللغوية للغات العالم، إلى أن اكتمل على يد المستشرق اللغوي الألماني ماكس مولر (Max Muller) (ت 1900م) بنظريته التي ترجع جميع اللغات الإنسانية إلى ثلاث فصائل ، هي :

(1) - الفصيلة الهندية الأوروبية (Langues Indo- Européennes): وتشتمل على ثمان طوائف من اللغات، هي: اللغات الهندية الإيرانية أو اللغات الآرية؛ اللغات الأرمينية؛ اللغات الإغريقية، الألبانية الإيطالية، السلتية أو الكلتية، الجرمانية، واللغات البلطيقية السلافية، وكل طائفة تضم مجموعة من اللغات.

(2) - الفصيلة السامية الحامية (Langues Chamito -Semitiques): وتشتمل على: اللغات السامية الشمالية كالأكادية والأشورية والعبرية وغيرها، السامية الجنوبية كالعربية واليمنية القديمة والحبشية السامية، اللغات الحامية وتضم: اللغات المصرية الليبية أو البربرية كالجزائر وليبيا والمغرب وغيرها.

(3) - الفصيلة الطورانية (Langues Touraniennes): وهو اسم أطلقه ماكس مولر على طائفة من اللغات الآسيوية والأوروبية التي لا يمكن تصنيفها ضمن الفصيلتين السابقتين، لأنه لا يجمع بينها صلات تشابه أو قرابة، ولذلك عمد علماء اللغة المحدثون إلى هذه اللغات التي بقيت خارج الفصيلتين ووزعوها إلى تسع عشرة فصيلة، يجمع بين أفراد كل فصيلة منها صلات تشابه و قرابة لغوية.

إن الهدف الأساسي من البحث اللغوي وفق المنهج المقارن هو إقامة قوانين تحكم تلك التغيرات التي طرأت على اللغات التي تندرج ضمن اللغة الأم، يقول محمود فهمي حجازي: " قد يحدث تغير في المكونات الصوتية يجعل لغة من اللغات تختلف في مرحلة من مراحل تطورها عن اللغة الأم التي انحدرت عنها، وهنا يحاول اللغويون تسجيل هذا التغير الصوتي ويطلق عليها اسم " القوانين الصوتية "، وقد تنمو الصيغ الصرفية وتتغير أشكالها وتنشأ من العناصر القديمة كلمات جديدة، وهنا يبحث اللغويون مدى الاتفاق والتشابه في الصيغ الصرفية بين اللغات المدرجة في أسرة لغوية واحدة بهدف إثبات اتجاهات التغير الصرفي، ومثل هذا يقال بالنسبة للتغير الدلالي فإن دلالة الكلمات تتغير وتختلف بشكل ما في اللغات المختلفة التي خرجت عن أصل واحد مشترك، وهنا تكون مقارنة الكلمات المشتركة بدلالاتها المتغيرة في لغات الأسرة الواحدة موضوعا من موضوعات البحث المقارن." وبذلك يكون المنهج المقارن مكملا للمنهج التاريخي ، أي أن المنهج المقارن يمكن الباحث من تفسير عدد من الظواهر في لغة معينة، كان عجز عن تفسيرها بتوظيف المنهج التاريخي وحده.

1-مجالات البحث اللغوي وفق المنهج المقارن.

يمكن تحديد أهم مجالات البحث اللغوي بتوظيف المنهج المقارن فيما يأتي :

- البحث عن اللغة الأولى للبشر.
- مقارنة الظواهر اللغوية التي تكشف عن مواطن الاتفاق والاختلاف.
- تحديد الروابط والعلاقات بين اللغات المقارنة.
- الكشوف الجغرافية والاغتراب عن الأوطان ، و التحقق من بعض القضايا التاريخية.
- النظرة القومية.
- علم الآثار والبحث عن تاريخ الحضارات القديمة.

2-أهم مجالات البحث اللغوي التي تفيد من المنهج المقارن:

يمكن تحديد أهم مجالات البحث اللغوي التي تفيد من المنهج المقارن فيما يأتي :

- معرفة بعض القضايا التي لم يتمكن القدامى من اكتشافها ، خاصة إذا أخضعنا الألواح والنقوش القديمة للدراسات المعلوماتية.

- التمييز بين العربي الخالص والعربي المشترك بين اللغات الجزرية ، كالأكادية والعبرية والسريانية والعربية الجنوبية.

- التمييز بين العربي الأصيل والدخيل الذي وفد إلى العربية من اللغات الأخرى كالفارسية والتركية والإغريقية واللغات الأوروبية.

- مجال الدلالة بمقارنة العربية باللغات السامية لتصحيح ما وقع فيه اللغويون الأوائل من أخطاء.

- توقع المستقبل للألفاظ العربية أو الدخيلة، ومدى نجاعتها من عدمها، ثم وضع قاعدة لوضع المصطلحات في العربية.

خلاصة: ختاما لما تم ذكره نلاحظ أن كلا المنهجين التاريخي والمقارن لم يستغن أي منها عن الوصف، أي أن الباحث اللغوي لا بد له من وصف الظواهر اللغوية المدروسة أثناء تتبعها تاريخيا أو أثناء مقارنتها مع ظواهر مشابهة لها في لغة تنتمي إلى الفصيلة نفسها.